# الافتتان الإلهي

## قراءة في المعنى والأهداف

الشيخ محمّد تقي مصباح اليزدي*

تقتضي طبيعة الحياة الدنيا وقوع حوادث تضع المرء أمام مفترق طريقين أو عدّة طرق، ما يحتّم عليه أن يختار طريقاً محدّداً. ويُطلق القرآن الكريم على هذه الحالة كلمة «الامتحان» أو «الابتلاء»: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ .. ﴾. وقد يُقال «الفتنة»، كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا۟ ثُمَّ جَٰهَدُوا۟ وَصَبَرُوٓا۟ .. ﴾.

والفِتْنَة لغةً، إحراق الفضة بالنار لتخلص من الشوائب، فاستُعير اللفظ للتعبير عن حالة القلق التي تُصيب المرء، فلا يدري كيف يصنع، وإلى مَن ينحاز، لا سيّما متى كان الموضوع على درجة من الإبهام والخَفاء، بحيث يصعب عليه تحديد واجبه وتكليفه. وهذه الحال هي الفِتْنَة بعينها.

والإنسان معرّض، على مدار الساعة، للاختبار والابتلاء، فلا تكاد تمرّ عليه لحظة واحدة إلّا ويخوض فيها مَعْمَعَة امتحانٍ ما؛ فيجدر بالمرء، بناء على ما تقدّم، أن يستبدّ به القلق، لا سيّما إذا استحضر مدى تأثير أفعاله في تحديد عاقبته ومصيره؛ فإمّا من أصحاب الجنّة أو من أصحاب السعير. كلّ ذلك، وهو يجهل نتيجة الامتحان الذي يخوضه.

إذاً، يتعيّن على الإنسان العاقل أن يكون في اضطرابٍ دائم. وليس المراد من «خوف الله تعالى» و«التقوى»، إلّا هذا المعنى المتقدّم.

### أهداف الإمتحان الإلهيّ

قد يتبادَر إلى الذهن السؤال التالي: ما الجَدوى من الامتحان الإلهي؟ **الجواب**: إنه من أجل أن يكسب الإنسان مزيداً من الأهليّة. ولك أن تسأل: المزيد من الأهليّة، لأيّ شيء؟ **والجواب**: من أجل أن يظفرَ بثواب أكبر، وأجر أسمى، يصعب على عقولنا إدراك نهايته. وكلّ ما يسعنا قوله، على نحو الإجمال، أن يستحقّ الإنسان منزلة القُرب من الله تعالى، وهو الهدف النهائيّ من الخلقة.

وعليه، فإنّ الهدف الأوليّ من الخلقة هو: الامتحان والابتلاء. ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ .. ﴾.

والهدف الثاني: نيل الثواب والجنّة. أمّا الهدف البعيد والنهائيّ فهو: الوصول إلى القرب الإلهيّ.

وهذه الأهداف يترتّب أحدها على الآخر، وتُعدّ جميعها من أهداف الخلقة. يقول تعالى ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ .. ﴾. لقد خلق الله الإنسان للرحمة، وهي رحمة لا يملك حتّى الملائكة ظرفيّة نيلها.

### كيفيّة الامتحان الإلهيّ

يعبّر القرآن الكريم في بعض آياته عن كيفيّة الامتحان أو الابتلاء الإلهيّ بقوله: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ؛ وبناءً عليه، فإنّ كلّ ما يجذب الإنسان ويجلب انتباهه من متاع الدنيا فإنّه يصنّف ضمن وسائل الاختبار. الأغرب من ذلك أن الناس، أنفسهم، قد جُعلوا أسباب امتحان لبعضهم البعض؛ وذلك في قوله تعالى: ﴿ لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ .. ﴾.

إذاً، فكلّ النِّعَم والنِّقم في هذا العالم هي وسائل للامتحان، وبعبارة أخرى: إنّ الكون بأسره هو مختبَر للإنسان، ونحن بدخولنا إلى هذا العالم، إنّما نَلِجُ مختبَراً عظيماً.

---

* من كتابه (أمواج الفتن وسفينة النجاة)، بتصرّف.